العدد: 02/سبتمبر 2024 المجلد: 19 ISSN: 1112-7015
ص: 271 - 287 EISSN: 2602-5973

الفن في ظل الجائحة بين الحرية والوظيفة الأخلاقية والإنسانية

ART IN THE LIGHT OF THE PANDEMIC BETWEEN FREEDOM, MORAL AND HUMANITARIAN FUNCTION

بلقاضي محمد *[1]

[1] جامعة الجلفة (الجزائر)، m.belkadi@univ-djelfa.dz

تاريخ الإرسال: 2024/06/28	تاريخ القبول:2024/08/30	تاريخ النشر: 2024/09/30

****

ملخص:

يعتبر الفن تجربة جمالية لا يمكن عزلها عن مظاهر الحياة، يحاول فيها الفنان ملامسة الواقع من أجل محاكاته وتمثيله جماليا عبر مختلف الفنون. إلا أن الأوبئة والجوائح تربك مشهد حياة الشعوب، وتهدد وجودها وحياتها، فيستيقظ في الفنان دافع التعبير عن الذات، ليخوض على إثرها معركة البقاء. لذلك يلقي هذا البحث الضوء على دور الفن زمن الأوبئة بتأسيس فلسفي نظري للعلاقة التي تجمع الخبرة الجمالية بالحياة العملية، وارتباط الفن بحاجات المجتمع ومتطلباته في أبعادها الأخلاقية والإنسانية، وكيف عاش الفنان تجربة الوباء، من خلال رحلة في ثنايا التراث الفني العربي العالمي والتعرف على بعض الأعمال الفنية التي تناولت الموضوع والنظر في أحوال الفن على المستوى الفردي والمؤسساتي زمن الوباء.

الكلمات المفتاحية: الوباء، الطاعون، الفن التشكيلي، فن الوباء، الإنسانية.

***ABSTRACT* :**

Art is an aesthetic experience that cannot be isolated from the aspects of life, in which the artist tries to touch reality in order to simulate and represent it aesthetically through various arts. However, epidemics and pandemics confuse the scene of peoples' lives, and threaten their existence and life, so the artist awakens the motive of self-expression, to fight the battle of survival. This research sheds light on the role of art in the time of epidemics by establishing a theoretical philosophical relationship to the relationship that brings art to society in its moral and human dimensions, and how the artist faces the conditions of the epidemic and challenges the horror of death. Through a trip in the folds of the Arab world artistic heritage and identifying some of the artworks that dealt with the subject and looking at the conditions of art at the individual and institutional levels in the time of the epidemic.

Keywords: *Epidemic, Plague, Plastic art, Epidemic art, Humanity.*

المقال: (**Sakkal majalla** (16); interlignes: 1)

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

لقد شهد العالم على مر التاريخ كثيرا من الأزمات كالكوارث الطبيعية وانتشار الأمراض والأوبئة والطواعين والجوائح التي كبدت البشرية خسائر مادية وبشرية كبيرة، وكان لها تأثيرها الواضح على الثقافة والفلسفة والأدب والفنون عموما، وكما كانت موضوعا ومادة للمؤرخين كتبوا عنها، وأرخوا لها، وللتحولات التي أحدثتها في مسار التاريخ الإنساني... كانت أيضا مادة خصبة للأدباء والفنانين، تناولوها عبر روايات وقصص وأفلام وأغاني ولوحات تشكيلية. ولذلك لم يكن غريبا على الفن ان يواكب الظرف ولا يغض الطرف، وأن يتفاعل مع الأحداث ويكون مرآة عاكسة لما يدور حوله من أحداث.

إن الفن منذ البدايات الأولى للبشرية استطاع وحده أن يوثق يوميات الناس وأحوالهم وانتصاراتهم البسيطة وصراعاتهم والمخاطر التي كانت تحدق بهم، وثق لأفراح البشر وأحزانهم، وثق لصمودهم أمام المحن والكوارث، ويتضح من آثار رسومات الكهوف والرسوم الصخرية علاقة الفنون بأنواعه بتوثيق الأحداث الكبرى عبر العصور في الحضارات الإنسانية.

وتبرز **أهمية** الموضوع من خلال قيمة الفن في الحياة، فهو تعبير عن حاجات ومتطلبات الإنسان الحياتية. وتجربة جمالية لا يمكن عزلها عن مظاهر الحياة، فهو مخرج من مخرجات المجتمع ومرآة له وللثقافة السائدة فيه، والأوجاع التي تلم به إنتاجا وتلقيا، ومن أسوء ما واجهه المجتمع البشري موضوع الأوبئة والجوائح التي أربكت مشهد الحياة، بحجم الدمار والخراب الذي تحدثه، وهو ما يدفع الفنان إلى توثيق الحدث جماليا، وتفاعله معه باعتباره لحظة من لحظات الإنسانية.

من هنا نحاول الوصول إلى نتائج واستنتاجات تسمح لنا بالإجابة على **الإشكالية** الرئيسية للبحث والمتمثلة في كيفية تفاعل الفن مع موضوع الوباء والجوائح، وكيف يواجه الفنان ظروف الوباء. من خلال رحلة في ثنايا التراث الفني العالمي والتعرف على بعض المخرجات الفنية التي تناولت الموضوع والنظر في أحوال الفن على المستوى الفردي والمؤسساتي زمن ظروف الوباء.

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الأبعاد الفكرية والفلسفية التي يحملها الفن تجاه الإنسان والمجتمع من الناحية النظرية، والأدوار التي يقوم بها أثناء الصعاب والأزمات التي تتخلل حياة الإنسان من الناحية العملية، والسعي لفتح المجال واسعا للأبحاث والدراسات، وإثرائها بقراءات متأنية، ومتفحصة لكتابات ودراسات فنية كمحاولة لإبراز قيمة الفن في الحياة، والوقوف على أدواره ووظائفه في المجتمع.

وللإجابة على الإشكالية وتحقيق الأهداف المرجوة اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي سواء في بيان علاقة الفن بمحيطه في أبعاده الإنسانية والأخلاقية، وكذلك من خلال البحث في ثنايا التراث الفني عن الأعمال الفنية التي تناولت موضوع الوباء، وتأثير الوباء على النشاط الفني.

2. البعد الإنساني في الفن

قبل الحديث عن البعد الإنساني في الفن، نشير إلى النزعة الإنسانية التي ظهرت في أوروبا في القرن الرابع عشر، وهي اتجاه فكري وحركة ثقافية نشأت في إيطاليا ثم انتشرت في أنحاء أوروبا، وبلغت ذروتها في القرن السادس عشر (عصر النهضة)، وهي فلسفة تضع الإنسان والقيم الإنسانية فوق كل شيء، وهي تَعتبر الإنسان أجمل الكائنات وأفضلها وأرقاها، وتثق به وبإمكانياته كل الثقة، عن طريق الرجوع إلى النصوص الوثنية اليونانية والرومانية، بعد أن ضاقوا ذرعا برجال الدين ومواعظهم، وشعروا بالاختناق في ذلك الجو المظلم للعصور الوسطى، ومن أهم المفكرين والشعراء النهضويين ذوي النزعة الإنسانية نذكر **بيترارك Pétrarque**(1304- 1374م)، و**بيك الميراندولي Pic de la Mirandole** (1463- 1494م)، و**مارسيل فيشان[1] Marcel Ficin**، ثم **ايراسموس Érasme** (1463- 1494م) الذي لقبوه بأمير عصر النهضة.[2]

وأصحاب هذه النزعة هم الإنسانيون، فمعنى الإنسانية في فلسفة الإنسانيين هي نسبة إلى الجوهر الإنساني الذي يعبّر عنه الإنسان الإنساني في وعيه وفي أدائه وفي معاملته الإنسانية المبنية على وعيه الإنساني. وقد عرّف **أندريه لالند André Lalande** (1867- 1963م) النزعة الإنسانية في قاموسه بأنها مركزية إنسانية متروية، تنطلق من معرفة الإنسان، وموضوعها تقويم الإنسان وتقييمه واستبعاد كل ما من شأنه تغريبه عن ذاته، سواء بإخضاعه لقوى خارقة للطبيعة البشرية، أم بتشويهه من خلال استعماله استعمالا دونيا، دون الطبيعة البشرية.[3]

وإنما المقصود بالإنسانية هي العناصر التي تجمع البشر –كل حسب ميزته وحضوره وكيانه– في تعايشهم بثقافة تجمع ولا تفرق وتتفاعل مع ماضيهم وحاضرهم، وقد أنيط الفن بدور هامّ في إنتاج وتشكيل وعي حقيقي للإنسان بالقضايا الكبرى المتعقلة بالإنسانية عامة، أو ما يخص وجود ومصير الوطن الذي يعيش به، أو الأمّة التي ينتمي إليها أو القيم والصفات المطلوبة أو تلك المنبوذة التي يجب محاربتها، وطالما كانت فنون الأطفال من تشكيل وقصص وحكايات وأغاني على سبيل المثال، وسيلة تعليمية ناجعة تلقى منها أولى أفكاره عن أخلاق الصدق، التضامن، الوفاء، الحب، الاحترام، والرأفة بالحيوان.[4]

وقد سجل التاريخ ما أداه الفنّ في العهود الماضية وما زال حتّى اليوم من أدوار مهمة في صناعة حياة متحضرة وراقية للإنسان، وتشكل أعمال الفنانين التشكيليين ضمن الفنون الحديثة والمعاصرة، من منحوتات ورسومات ومعمار وفنون تطبيقية...، عنصرا إبداعيا وعملا خلّاقا، يعرف الفنان من خلاله الآخرين بذاته وهويته ويعبر عما في أعماق نفسه من مشاعر تجاه أخيه الإنسان، فتتشكل تلك العلاقات بين بني الإنسان بكل مضامينها من عقيدة وفكر وعواطف.

فمصادر إلهام الفن من خيال ووجدان وعاطفة يسوسها العقل. والعقل يتماهى مع كلّ هدف يسعى إلى خدمة البشرية وتحقيق رفاهية المجتمعات وسعادتها وتأمين الحياة الكريمة لجميع أفرادها، دون تمييز إثني أو دينيّ أو مذهبيّ، فالذي يسعى

إليه الفنان هو إخراج ذلك الإنسان ذو الطبيعة الخيرة انطلاقا من الخير الفطري الذي تكتنفه ذاته، ومن هنا فإن التعاطي الفنّيّ يتجاوز مبدأ "الفنّ للفنّ" ويتعداه إلى الهدف النبيل والسامي والذي يتمثل في السعي إلى خدمة الإنسان أفرادا وجماعات، عن طريق تسخير أشكال الفنون كالتصوير، النحت، الموسيقى، السينما... للتعبير عن احتياجات الإنسان على الصعيد الشخصي، الفكري، الاجتماعي، الأخلاقي...، والعمل على تلبتها والعمل على تحسين ظروفه الاجتماعية وحماية حقوقه وصون كرامته وتأمين حرياته وكسر قيوده، من أجل الارتقاء والسموّ به إلى حياة أفضل،.[5]

يقول **زكريا إبراهيم** في آخر كتابه **'**مشكلة الفن**'** وبعد أن عالج جوانب عدة لموضوع الفن، أن قيمة الفن هي كونه شيئا إنسانيا: "لا يفوتنا أن ننبه إلى ما للموضوع الجمالي من قدرة هائلة على الترقي بالجمهور إلى مستوى الإنسانية، فليست علاقة الموضوع الجمالي بالجمال هي التي جعلت منه عاملا قويا من عوامل الحضارة، كما وقع في ظن الكثيرين، وإنما الذي جعل منه قوة فعالة في صميم الحياة الاجتماعية هو كونه شيئا إنسانيا قد انبثق من أحضان الموجود البشري نفسه. وإذن فليس تاريخ الفن سوى تاريخ تحرر الإنسان، وليس الفن نفسه سوى انتقال من دائرة القدر والمصير إلى دائرة الوعي والحرية، كما قال **مالرو**".[6]

فالفن الذي يمثل الإنسانية هو الذي يشارك الإنسان أفكاره وقضاياه التي يحياها في زمنه، يقول **فيشر Ernst Fischer** (1899- 1972م): "ونستطيع أن نصوغ هذه النتيجة في العبارة التالية: "إن كل فن هو وليد عصره، وهو يمثل الإنسانية بقدر ما يتلاءم مع الأفكار السائدة في وضع تاريخي محدد، ومع مطامح هذا الوضع ومع حاجاته وآماله. لكن الفن يمضي إلى أبعد من هذا المدى، فهو يجعل كذلك من اللحظة التاريخية المحددة لحظة من لحظات الإنسانية، وذلك على الرغم من فترات التحول العنيف والتقلب الاجتماعي العميق، فتاريخ الإنسانية –شأنه شأن العالم ذاته– ليس مجرد طفرات وتناقضات، ولكن هو أيضا اتصال واستمرار".[7]

يقول الدكتور **زكي نجيب محمود**: "...تكون تلك الرسالة حين يحاوز الفنّان حدوده الإقليمية ليخاطب الحقيقة الإنسانية في صميمها، والحقيقة أن الإنسانية واحدة مهما اختلفت ألوان الجلود، وطرز الثياب وألوان الطعام وأنماط الروابط والصلات.. فبخيل **الجاحظ** (776- 868) كبخيل **موليير Moliére** (1622- 1673)، صورة إنسانية لا تقيدها قيود اللغة التي بها، ولا الأوضاع الاجتماعية التي نشأت في ظلها، **وقيس** هو **روميو Roméo** و**روميو** هو **قيس**، كما أن **ليلى** و**جوليت Juliette** أختان في المصير.[8]

لقد كان الفن في القديم والحديث رسالة اجتماعية وما يزال، فالفنون للمجتمع، بل للإنسانية كلها، لأنها الإبداع الإنساني المفهوم من الجميع، فرسالة الفنان تتجه إلى حقيقة الإنسان في آماله وآلامه وخواطره ومشاعره، ليلتقي في محرابه الإنسان أينما وجد.[9]

كل ذلك جسدته إبداعات الفنانين بالإيحاء، بالتصوير، أو النحت، أو أشكال الفن الأخرى، فكانت تلك الإبداعات بيانا ومؤشّرًا على قدرة الفنّان المبدع على توجيه الناس وتحذيهم وإرشادهم عن طريق الحس الذي يغمر وجدان الإنسان فيثير مشاعرهم وعواطفهم، سواء كان الفن تشكيلا أو مسرحا أو شعرا مما يحفّز الفنّان المبدع للتواصل مع الإنسانيّة والتماثل مع

معانيها وحقوقها في هذا العالم بأقطابه وتناقضاته، التي تثير خيال الفنّان وتلهبه في الإبداع الهادف الذي يصور آلام الناس وأوجاعهم ومعاناتهم، أو يعبر عن عنصرية أو ظلم ما، فالفنّان لا بدّ أن يتدفق إنسانيّة، يتمثل فنه كل معاني الحرية والعدالة والمساواة، يدعو من خلال فنّهِ إلى ضمان الحياة الكريمة للناس وتساويهم في الحقوق والواجبات دون تمييز، وضمان حريتهم باعتبارها الحق في كل تصرف لا يلحق الضرر بأحد[10].

3. حرية الفن ...أم ارتباط بالأخلاق:

إن من أهم الموضوعات إثارة في فلسفة الفن وعلم الجمال هو علاقة الفن بالأخلاق، بمعنى هل يؤدي الفن وظيفة أخلاقية؟ هل تكون القيم الجمالية في الفنون خادمة لعلم الأخلاق؟ وهل بوسع الفن الجمع بين الدعوة إلى الجمال الفنّي والأخلاقي؟ أم أن مبناه على التحرر من أي التزام اخلاقي؟

إن عرض مشكلة العلاقة بين الفن والأخلاق، سحيلنا إلى وجود نزاع تأسست عليه هذه المشكلة، نزاع جوهري تشكل من التباين والتعارض بين ما يتطلبه الفن وما تتطلبه الأخلاق، فحينما تحرص الأخلاق على الارتباط بالتجربة والخبرات، يصر الفن ويحرص على الاستقلال الذاتي وتجريد التجربة الفنية عن كل قيد اجتماعي أو أخلاقي، فالالتزام الأخلاقي يفرض على الإنسان أن يتفحّص العمل في إطار علاقاته بالأفعال الأخرى، في حين تفرض حالة الاستقلال التي تتطلبها التجربة الجمالية على الإنسان أن يدخل نفسه في التجربة مباشرة، فالأخلاق تؤكد على صون حرمة الإنسان وعدم انتهاكها، بينما الفن يركز على قدسية التجربة.[11]

إن اختلاف الآراء في تحديد العلاقة بين الفن والأخلاق ناتج عن اختلاف المنظار الذي نرى به الفن، ففي الوقت الذي نجد الذين لم يميزوا بين صورة الفن ومضمونه، فإنهم لا يرون الفن إلا في إطار أخلاقي. وعندما ننظر إلى الفن كعناصر جمالية بحتة فإنّ الإجابة على هذه التساؤلات تكون من الصعوبة بمكان، حيث نجد خلف هذه النظرة اتجاها يعزل الفن عن الأخلاق ولا يلزمه بأي مطلب أخلاقي، وسنذكر نموذجين من دعاة هذا الاتجاه:

- النموذج الأول: رغم دعوة **جون بول سارتر Jean-paul Sartre** (1905 – 1980م) الفنان والأديب إلى تغيير العالم والاشتراك في الحقل الاجتماعي، إلا أن الفن المنوط بهذه المهمة هو الفن الصادر عن حرية الإنسان، فالحرية هي مصدر القيم عند **سارتر**، فالفن إبداع في عالم القيم الجمالية على أساس الحرية التي تحرره من أي قيد أخلاقي، ولهذا يعتبر **سارتر** العمل الفني يكتسب خاصيته الجوهرية وهي أنه مجرد اقتراح وهو لا غاية له، ولكنه لا غاية له لأنه هو في نفسه غاية (مذهب الفن للفن).[12]

- النموذج الثاني: أما **بندتو كروتشة Benedetto Croce** (1866 – 1911م) فينكر أن يكون الفن فعل أخلاقي، ولا ينطبق عليه أي حكم أخلاقي، فمن المستحيل أن نحكم على منحوتة أو صورة ما بأنها مقبولة أو منبوذة، وإذا استطعنا إطلاق هذا الحكم، فهذا يعني أنه بإمكاننا أن نحكم على شكل هندسي سواء كان دائرة أو مثلثا بأنه أخلاقي أو غير أخلاقي، ومما يبرر ذلك أيضا أننا لم نجد ضمن القوانين الجنائية ما يجرم عملا فنيا ما

ويحاكمه ويسلط عليه حكما عقابيا كالسجن مثلا، فالفن في ذاته من حيث هو عمل فني خارج تماما عن نطاق الأخلاق.[13]

، وفي هذا الصدد يقول **كروتشه**: "إن فنا يتعلق بالأخلاق أو اللّذة أو المنفعة، لهو أخلاق أو لذة أو منفعة، ولن يكون فنا أبدا"[14]، ورغم رفض **كروتشه** فكرة الفن الموجّه إلا أنه يقرر في ذات الوقت بسلطان الأخلاق على الفنان، وبالتالي عليه ان ينهض بواجباته كإنسان وينظر إلى الفن على أنه رسالة وهذا ما يجعل ممارسته له كواجب مقدس . [15]

أما الاتجاه الثاني الذي لا يقبل الفصل بين صورة الفن ومضمونه، والذي يكرس للعلاقة بين الفن والمجتمع، حيث يختفي عندهم التساؤل عن دور الفن إلا في إطار المجتمع وما يتكون منه من جوانب، وقد كان الإغريق في هذه المسألة أعقل بدرجة كبيرة، فقد كان اعتقادهم الذي يبدوا لنا متناقضا على الدوام، بأن الجمال إنما هو خير أخلاقي، بل جعلوا الفن جزء من علم الأخلاق، وأكد **أفلاطون Platon** (428- 348 ق م) في جمهوريته أن مهمّة الفن هي مهمّة تربوية، والفن هو العامل الأكبر في تهذيب جوانب الإنسان النفسية والروحية، وهو كفيل للقيام للتفرد بهذه المهمة، حيث يقول **هربرت Herbert Read** (1893-1968م) في هذا الصدد: "أقول أن اعتقادهم هذا حقيقة بسيطة، إن الخطيئة الوحيدة هي القبح، ونحن إذا ما آمنا بذلك بكل كياننا، فسيكون بإمكاننا أن نترك كل أنشطة الإنسان الروحية الأخرى لكي تعتني بنفسها، وهذا هو السبب في اعتقادي أن الفن أكثر أهمية بكثير من الاقتصاد والفلسفة، فهو المقياس المباشر لرؤية الإنسان الروحية...".[16]

أما في العصر الحديث فنجد الفيلسوف الألماني إيمانويل **كانط Emmuel Kant** (1724- 1804م) ربط موضوع الجمال بموضوع الأخلاق، وأكد أن الإنسان الذي يهتم بالجمال الطبيعي، لا بد من أن يكون قد اعتاد على حياة التأمل، ومن ثم فإن الخير الأخلاقي لا بد من أن يكون متأصلا في نفسه.[17] و**هيجل**[18] **Friedrich Hegel** (1770-1831م) الذي يُحكم الفن إلى الأخلاق ويجعلها غايته، حيث يقول: "إن تهذيب الأخلاق هو الذي يشكل هدف الفن، وقد رأينا بالأصل أن تهذيب الأهواء ينطوي بحد ذاته على درجة معينة من التطهير، فيكون من نتيجته السيطرة ولو في حدود ضيقة على الأهواء وعلى الغرائز المنفلتة والوحشية..."[19]، وغير بعيد عنه نجد الفيلسوف الفرنسي "**ألان**[20] **Alain Badiou**" يثني على الفلسفة التقليدية، وأنها كانت على حق عندما جعلت من القيمة الأخلاقية شكلا من أشكال القيمة الجمالية، ووصفها للفعل الأخلاقي النبيل بأنه فعل جميل مؤكدة وجود علاقة وثيقة بين الخير والجمال.[21]

بل نهج هذا المنهج كثيرون من فلاسفة وفنانين وعلماء اجتماع، لكن يفرق بينهم شدة تعصبهم لهذا الطرح، حيث نجد من يبالغون في التمكين لسلطة الأخلاق على المجالات الأخرى، أو العكس أي إعلاء الطابع الجمالي فوق كل شيء.

فمن صلاحيات الفيلسوف أن يطالب الفنان بإثبات ما يقوم به، هو إما خير في ذاته وإما وسيلة إلى الخير، وإن من واجب الفنان أن يجيب بأن الفن خير لأنه يعلو بنا إلى حالة من النشوة أفضل بكثير مما يمكن أن يخطر ببال الداعية الأخلاقي البليد الحس، وفي هذا وحده الكفاية. إن الفنان على حق من الوجهة الفلسفية، كل ما في الأمر أن الفلسفة ليست بهذه البساطة التي يجيب بها الفنان.[22]

يحاول البعض فك النزاع بين أنصار المذهبين، أو على الأقل التضييق من مساحة الاختلاف عن طريق الاتجاه إلى أن نكون أقل قسوة وأكثر مرونة، فتأييد مطالب الأخلاق يجب أن يصاحبه اعتراف بمطالب الفن، فالاهتمام بمجرد تأمّل الأشياء مجردة ولاشعور بها وتخيلها، يمكن أن يخلق متعةً ورضا ذاتيا، أم إذا تدخلت الأخلاق تدخلا قويا فإنها ستسبب خسارة كبيرة للفن.

إنه لمن العقم أن يحاول المرء استبعاد العنصر الأخلاقي، كما أنه من الخطإ الفادح أن يكون مع الرقابة ضد الفن، فمحاولة استبعاد أي إشراف أخلاقي على الفن بحجة حماية الفن والحفاظ على نزاهته هو استبدال لتعصب بتعصب آخر، كما أن محاولة إعلاء الطابع الجمالي فوق كل شيء، لا تقل في ابتعادها عن المعقولية عن محاولة إعلاء الشأن الأخلاقي فوق كل اعتبار.[23]

ينقل لنا **جيروم ستولينز**[24] **Jerome Stolnitz** رأيا لـ (**رالف باترون بري Ralph Barton Perry**) يشير فيه إلى موقع الأخلاق من الفن حيث يقول: "إن الفن خاضع للنقد الأخلاقي، لأن الأخلاق ليس أكثر ولا أقل من القانون الذي يتحكم في المجال الكامل للاهتمامات، والذي يكون فيه الفن وكل شيء طيب آخر ممكنا"، ويؤكد جيروم بعد قول بري Perry أن وظيفة الأخلاق هي تنظيم كل اهتمامات الإنسان، والمجال الفني هو أحد هذه الاهتمامات، وليس بوسعه أن يطالب بالتعالي على القانون ويجعل لنفسه حصانة من توجيه الأخلاق وسلطتها، أكثر مما يمكن لأي اهتمام أن يبتغي لنفسه بمثل هذه الحصانة، وزيادة عن ذلك فموضوع الفن كما أكد المفكر الروسي تولستوي، لا يمكن ممارسته إذا ارتبط بالغية الجمالية فحسب، بل نمارسه لأجل أغراض غير فنية، كأغراض اقتصادية واجتماعية مثلا. ولما كانت هذه المجالات النشاط الإنساني يحتاج إلى إشراف الأخلاق، كان لا بد للفن أن يدين لها أيضا، فيثبت للفن انتفاعه من الأخلاق، وهذا ما يجعل عليه التزامات لها.[25]

4. الفن والتأريخ للأزمات

في ديسمبر 2019، فاجأت الصين العالم بإعلانها ظهور فيروس كورونا "COVID-19"، فملأت صرخات الإعلام الدنيا وشغلت الناس وأصابهم الهلع الشديد، فقعدوا عن أعمالهم، وأغلقوا على نفوسهم أبواب بيوتهم. ففتك هذا الوباء بالآلاف من الناس في وقت قصير، ونظر إليه البعض على أنه أول فيروس يشكّل حدثاً فارقاً في التاريخ، إلا أن هذا ليس أول وباء فتاك يضرب البشرية، وهذا من خلال ما ترويه لنا صفحات التاريخ.

لقد شهد العالم أوبئة وجوائح استمرَّت سنواتٍ عديدة، أَكثرَ شراسةً وغموضًا وفتكا لأرواح الملايينَ من الناس، لم توقفها حدود الدول ولم يتمكن العلم من إيجاد اللقاحات والعلاجات والتدابير الوقائية الكافية.

كطاعون **جستنيان Justinian** سنة 541م الذي قتل ما يقارب خمسين مليون شخص، أي حوالي نصف سكان العالم آنذاك، وطاعون **عمواس** سنة 693م الذي ضرب المنطقة العربية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب والذي قتل بشرا كثيرين، وطاعون **الموت الأسود La Peste Noire** في أوروبا مابين 1331م و 1351م، الذي ظهر في الصين وانتقل منها إلى آسيا الوسطى وشرق أوروبا ثم إلى أوروبا والشرق الأوسط وقد ذكرت المصادر أن عدد القتلى تراوح بين خمس وسبعين

إلى مائتي مليون، إضافة إلى طاعون **لندن العظيم** سنة 1665 الذي قضى على نصف سكان لندن، كما ضرب وباء الجدري والكوليرا مناطق شتى من العالم وفي فترات مختلفة وحصدا الملايين من البشر.[26]

ومن المعلوم، أن الفن بأنواعه مرآة عاكسة للواقع، ويتجلى ذلك بوضوح من خلال الرسومات القديمة والتي تعد من أهم مصادر التأريخ للحضارات الإنسانية، فالآثار الفنية من الرسوم الصخرية والرسومات على جدران الكهوف تظهر بوضوح تلك العلاقة بين الفن بأشكاله، وتوثيق الأحداث الكبرى من كوارث وأزمات وانتصارات عبر العصور المتعاقبة لمختلف الحضارات.

وقد حفظ التاريخ الكثير من الأحداث والوقائع من خلال الأعمال الفنية، وإن تخليد الكثير من الأعمال الفنية كان بسبب ارتباطها بأحداث تاريخية مهمة لا زالت شاهدة عليها، حيث استطاعت الأجيال المتأخرة الاطلاع على تاريخ ما قبل عصر التدوين والكتابة، من خلال القصص والأشعار والرسومات والمنحوتات...، ولم توثق الأساطير تلك كتابةً، إلا في زمن الخط المسماري إبان الحضارة البابلية[27].

ولقد جسَّدت ريشات الفنانين عبر الأحقاب والعصور في القديم والحديث حتى يومنا هذا، شهادات مرئية على الأحداث التي شهدتها البشرية، شهادات متجاوزة حدود اللغة والكلمة وعابرة لحدود الجغرافيا، وفي خضم هذه الشهادات رسائل ثورية ناقدة ورافضة لما يحصل في العالم. ومثَّلت الفنون الأدبية من روايات، شعر، قصص، وأمثال...، والفنون الجميلة باختلاف أشكالها من دراما وموسيقى وفنون تشكيلية وثائق بصرية عبرت عن الواقع وحوادثه التي صنعها الإنسان، ونلحق هنا هذا الدور بالفن التشكيلي على وجه الخصوص، كونه يُستلهم دائماً من صميم الواقع ولا يشذ عن سياقه الثقافي والاجتماعي والسياسي، إذ لا يمكن أن يستقل الفن عن الحياة وما يجري فيها من أحداث ووقائع كبرى، سواء كانت حروباً، ثورات، أم كوارث طبيعية أم شيوع أمراض وأوبئة ما. ونتيجة لذلك، أثرت هذه الوقائع وأسهمت تلك الأحداث في ظهور عدد من التيارات والمدارس الفنية والاتجاهات النقدية، كالعبثية، السريالية، والدادائية، التي ارتبط بروزها وتشكلها بما خلفته الحروب من كوارث ودمار.[28]

5. الوباء والفنون

إن انعكاسات الأوبئة والجوائح على جميع مناحي الحياة تلقي بنفسها وبتأثيرها المباشر على المجال الفني في تداعياته على حياة الفنانين الشخصية؛ وهو ما سينعكس على مضامين أعمالهم وأساليبهم في المستقبل، كما سيتمظهر تأثيره غير المباشر على الحركة الفنية العالمية في عواقبها على المجتمعات والثقافات المختلفة، وتعيد هذه الأزمات من أوبئة وكوارث هيكلة مشاعر الفنان وتشكيل ذوقه وإنتاج أفكاره، وتفرض نفسها على تشكيلاته ومنجزاته الجمالية.

وقد يعتقد الكثير من الناس أن آلة الفن ستتعطل زمن الكوارث والأوبئة، ويتراجع نشاطه ويضعف أداؤه في مواجهة الأمراض والأزمات التي تصيب الناس ماديا ومعنويا، بل كان هذا هاجس المشتغلين في المجالات الفنّية والمهتمّين بها ولم يتوقفوا عن طرح تساؤلاتٍ حول ما يمكن أن تفرضه الجائحة على الفن، وتأثير الحجر الصحي على النشاط الفني سواءٌ مِن ناحية تلقيّه أو من ناحية طبيعة الفن نفسه. وقد كانت هذه الأسئلة موضوع ندوةٌ دولية افتراضية نظّمها "المركز الدولي للدبلوماسية" في الرباط، في 2020/10/17، تحت عنوان "مستقبل الفن التشكيلي بعد جائحة كورونا"، بمشاركة فنّانين ونقاد من المغرب وخارجه. وتناولت جوانب متعدّدة تتعلّق بتوثيق الوباء ومستقبل الفن ظل التحوّلات التي فرضها فيروس كوفيد – 19.[29]

ففي الأعمال الأدبية كتب **جيوفاني بوكاتشيو Giovanni Boccaccio** عن مدينة فلورنسا الإيطالية التي أصابها وباء عام 1348م، كتب رائعته الشهيرة (**الديكاميرون Décaméron**)، وهي مجموعة من القصص، وعدها بعض المؤرخين أول عمل روائي في تاريخ أوروبا.[30] كما كتب الإنجليزي **دانيال ديفو Daniel Defoe** رواية "**مجلة الطاعون**" والتي تصور انتشار الطاعون في لندن في القرن السابع عشر، فضلا عن روايات استخدمت الوباء القاتل ضمن إطار الخيال العلمي و**الديستوبيا Dystopie**[31] كما في رواية **ماري شيلي Mary Shelley** "**الرجل الأخير**" ورواية الأمريكي **جيم غريس** "**بيت الآفات**" والتي تصور انهيار المجتمع الأمريكي الذي يضربه وباء الطاعون في زمن مستقبلي متخيل.[32]

وفي الأدب الديستوبي عربيا رواية "**عطارد**" للمصري **محمد ربيع**، كما ضمّن **أحمد خالد توفيق** في عدد من كتبه ضمن سلسلته الشهيرة "**سفاري**" حديثاً عن الأوبئة، مثل "**عن الطيور نحكي**"، و "**الموت الأصفر**"، فضلاً عن "**الوباء**" الذي تصاب شخصياته بمرض يجعل عيونها تنزف دماً، وكذلك رواية اللبناني **ربيع جابر** "**أميركا**" صوراً قاسيةً لهذا الوباء الذي عايشه العرب المهاجرون إلى أمريكا.[33]

أما في المجال الفني فسنخص بالذكر الفن التشكيلي الذي يعتبر من أشهر أنواع الفنون وأكثرها احتمالا للتأثر بمثل هذه الأوضاع والأزمات التي تصيب المجتمع وحالات الإغلاق والحجر، نظرا للاحتياجات الوظيفية للفنان، وأيضا لتلقي الجمهور لأعمال الفنانين التشكيليين. ومن أشهر اللوحات التي رسمت:

- **لوحة "نابليون في زيارة لجنوده في يافا" للفنان الفرنسي "أنطوان جان جروس Antoine-Jean Gros" (1771– 1835)**، الذي صور زيارة نابوليون لجنوده المصابين بالطاعون في يافا في 11مارس 1799م، للاطمئنان عليهم ورفع معنوياتهم، حيث تصورهم في مسجد تم تحويله إلى مستشفى ميداني للجنود الفرنسيين المصابين بالطاعون، حيث نرى نابوليون في وسط اللوحة كمركز إشعاع للفت الأنظار إليه، واضعا يده على أحد المرضى وهو يلمس بثور جندي واقف، و**ديسجينيت Desgenettes**، كبير الضباط الطبيين في الجيش ، يراقب الجنرال باهتمام بينما يحاول جندي إزالة يد بونابرت لمنعه من العدوى.

على اليمين، جندي آخر عارٍ تمامًا، يساعده على القيام شاب عربي، ويضمده طبيب تركي، وضابط مصاب بالرمد متكئاً على عمود.

في مقدمة اللوحة، يظهر مريض يموت على ركبتي جراح عسكري شاب أصيب بنفسه بالمرض. وخلف الجنرال، يظهر ضابطان فرنسيان خائفان من العدوى: أحدهما يغطي فمه بمنديله بينما لم يجرأ الآخر على الاقتراب.

على يسار اللوحة، وسط المرضى المستلقين على الأرض، تقف مجموعة من العرب يوزعون الطعام.[34]

وقد ركز الفنان "**جروس**" في هذه اللوحة على إظهار المعاناة الشديدة التي يعيشها الجنود الفرنسيون على مختلف حالاتهم ووضعياتهم وهم غرباء بعيدون عن أوطانهم، كما تظهر ملامح وجوههم الخوف والجزع من الموت... كما نقلت لنا اللوحة جانبا من العمارة الإسلامية من خلال المسجد وتظهر مدينة يافا في أفق اللوحة.

- **لوحة انتصار الموت للرسام الهولندي "بيتر بروغل Pieter Brueghel" (1525– 1569)**

من أكثر المشاهد المروعة التي سجلها الفنانون فهي تعبر عن رؤية لنهاية العالم. في هذا المشهد البانورامي الموت غطى المكان وهو يدفع الناس إلى صندوق يحمل في بابه صليب. جيش من الهياكل العظمية تغزو المشهد. تقتل الناس وتقطعهم دون استثناء، لا يميز ملك أو أم وطفلها أو فارس أو فلاح أو سيدة جميلة، الكل يواجه الموت ولا أحد في وضع أفضل من الآخر، تصور اللوحة هجوم الهياكل العظمية بالسيوف والمناجل بهذه الوحشية فيمتلأ المكان بالقتلى والخراب والدمار وكأنها القيامة، فتصبح كل مقاومة لا طائل من ورائها، وينعدم الأمل لأنه هجوم للموت بعينه.

إنها صورة مروعة حقا تظهر مدى فظاعة الطاعون الذي حدث في 1347-1349، الذي قضى على أكثر من نصف سكان القارة، كما تحكي اللوحة حالة الفوضى إثر الجزع الذي أصاب الناس، وكيف ستكون الأحوال النفسية للذين ينتظرون حتفهم وهم يشاهدون الموت يحصد الأرواح بجوارهم.

أما بالنسبة للوطن العربي فسنحاول أن نرصد تأثير جائحة كورونا على الفنان التشكيلي العربي، حيث إن أوضاع التجميد والتعليق التي عاشتها النشاطات الثقافية والفنية وإغلاق المؤسسات وحالة العزل التي وجد فيها الفنان نفسه، فإنه لم يضع ريشته واستمر في نشاطه، وتلمَس الوسائل المتاحة لعرض اعماله على جمهوره. فعلى الصعيد المؤسسي تحاول عديد المؤسسات الفنية والثقافية إيجاد الحلول للخروج من عزلتها، وهناك تجارب عملية بهذا الخصوص، كتجربة عدد من المتاحف الأميركية التي أخذت تتيح الزيارات الافتراضية المدفوعة، واضطرارها إلى الابتكار بهدف الاستمرار في غمرة إجراءات الإغلاق بسبب جائحة كورونا.[35]

فقد أطلق الفنان التشكيلي المصري **حسين نوح** معرضا افتراضيا تحت عنوان «**برغم الأزمة**» عبر صفحات الأنترنت، بعد أن كان يستعد لإقامة معرض بدار الأوبرا المصرية، قبل أن يحول وباء كورونا دون ذلك، فأغلقت قاعات العرض والمراكز الثقافية، وقد فاق التفاعل الذي لقيه معرضه من متذوقي الفنون التشكيلية ما كان يتوقعه الفنان حسين نوح. وقد ضم معرض «**برغم الأزمة**» 31 لوحة يعبر عدد منها عن إحساس الفنان بالأزمة الصحية التي خلقتها «كورونا» والتي عمت أرجاء العالم، حيث صور فيها حالة الحزن والانكسار على وجوه شخوصها، دون إغفال فكرة ترقب انفراج هذه الأزمة العالمية التي تستحوذ على عقول الناس الذين يتوقون إلى رجوع أحوال الحياة إلى طبيعتها.[36]

ولتسليط الضوء على دور مواقع التواصل الاجتماعي في بعث الابداع الفني من جديد، و استمرار نشاط الفنان التشكيلي وتواصله مع جمهوره، فقد أنجزت عدة بحوث تتناول الفن التشكيلي في ظل الوباء، منه ماكتبته الباحثة **ساحي سعيدة** بعنوان: "الفن التشكيلي الجزائري عبر مواقع التواصل الاجتماعي في ظل أزمة كورونا" نشرته في مجلة الراصد لدراسات العلوم الاجتماعية، والذي رصدت فيه الدور الذي لعبته مواقع التواصل الاجتماعي، في نشر الفن التشكيلي الجزائري خلال فترة أزمة كورونا، عن

طريق تسليط الضوء على إحدى المواقع التي كان لها صدى بالنسبة للفنان التشكيلي و المتلقي معا، و ذلك من خلال دراسة أهم النشاطات الفنية التي قامت بها مواقع التواصل الاجتماعي في ظل جائحة كورونا، لتكون بذلك الحل البديل للفنان التشكيلي في مثل هذه الظروف لمواصلة أعماله الفنية من ناحية، ولنشر التوعية الصحية للوقاية من فيروس كورونا بطريقة فنية من ناحية أخرى.[37].

6. فن الوباء والميتافيزيقا اللاهوتية

لقد عج التاريخ بمحطات مظلمة قاتمة عانت فيها الإنسانية جراء الحروب والأوبئة والكوارث، حيث عمت مشاهد الموت الأرجاء وشاع الخوف والهلع وتملك الناس اليأس والقنوط، وباعتبار أن الفن الذي يولد من رحم المجتمع بأزماته ويعبر عن مآسيه وآلامه، فقد كان لهذه المحطات تأثيرها الكبير عليه. فمع بداية القرن الرابع عشر، بدأ الفن بأنواعه من تشكيل وسينما وعمارة يلتحف لحاف الظلمة والحزن، موازاة مع حالة اليأس التي سادت تلك الفترة والتي انعكست على مجالات أخرى غير الفن كالصناعة والتجارة، حيث تم تقديم رؤى مختلفة ومتعدِّدة عن الموت، فظهر تأثير هذه الظروف في نمط تحصين العمارة وفي بعض الجزئيات كالنوافذ والأبواب والرموز المنقوشة على أسوارها وجدرانها وتوزيعها الداخلي، وقد هيّأت هذه المخرجات الفنية الأرضية لظهور الفن القوطي في أوروبا، الذي ربط عناصر البناء ببعضها، ما جعله يعُرف بقلة الضوء والفراغات. كما كان للوقع الشديد على الناس وسيطرة الخوف المفرط على عقولهم أن اعتقدوا في زمن هذا الطاعون الذي ضرب أوروبا دنوّ نهاية الإنسان.[38]

إضافة إلى هيمنة **الميتافيزيقيا اللاهوتيّة** التي اتسمت بها العصور الوسطى في أوروبا ومركزية الخطاب الذي يقوم على أسبقية الإيمان على المعرفة العقلية، وتثبيت الحقائق الغيبية واللاهوتية، بجعل الفلسفة خادمة للدين. لذلك لم يكن عدم خضوع الفنّ للعقيدة واستقلاله عنها أمراً يمكن أن تتصوّره العقلية التي مثلت هذا الاتجاه آنذاك. وهو الأمر الذي دفع بالتعبير الجماليّ ليكون شأناً حِرفيّاً، ووسيلة من وسائل الإرشاد والوعظ الكنسي، وفريضة ذات أبعاد روحية، مما غيّب الوظيفة الجمالية للفنّ، وأفقد متعة التلقي، كما تجاهل وتغاضى عن إضافة اسم صاحب العمل على منجزه التصويريّ، كما نلحظ ذلك في لوحة «**دفن ضحايا الطاعون**» التي وثقت الوباء في مدينة **تورناي Tournai**.[39]

وتجلت هذه الأفكار في موضوعات اللوحات التي لم تعد تكترث للبطولة وشخوص الفرسان، وإنما التفتت إلى الضحايا والموتى، لتبدو الأعمال الفنية على جدران الكنائس تصويراً للحالة الجنائزية التي يظللها الموت والسكون واللون القاتم. وكان من أهم ردود الفعل على جائحة ''**الموت الأسود**''، بث عقيدة ''**هروبية**'' من العالم، فاصطبغ الفن بالروح الدينية، فالفنانون الذين كانوا يرسمون لوحات مبهجة، تحوَّلت رسوماتهم إلى مشاهد الموت. أما مشاهد الجنازات، التي كثيراً ما كانت تصوِّر آنذاك جنازات الملوك والوجهاء أو القديسين، فلم تعد تُرسم كما في السابق، بل تحوَّلت إلى لوحات لضحايا مجهولين في طريقهم إلى القبر.[40]

وتثبيتا لهذا المعتقد جاءت لوحة البلجيكي **أنطوني فان ديك Anthony van Dyck** عن طاعون الذي ضرب **باليرمو Palerme** سنة 1624م والذي هرب منه وغادر المدينة قبل أن يصاب[41]، حيث اختار ألا يوثق رسومًا لموتى الطاعون بل اختار أن يذكِّر أحياءَ المدينة بالقديسة وراعية المدينة ''**روزاليا Rosalie**''، ، حيث كانت القلوب في ظل تفشي الطاعون تنتفض تضرعًا وخوفًا وتصلي إلى الله طلبًا للنجاة والحماية. فرسم لوحة بديعة سنة 1629م تتوسطها القديسة **روزاليا** محاطة بأجنحة الملائكة[42]، واختار اسمًا للوحة أشبه بمطلع قصيدة تربت على قلوب الخائفين، اسماها ''**القديسة روزاليا تشفع للمبتلين بالطاعون في باليرمو**''. وأصبحت **روزاليا** واحدة من أهم الشخصيات التاريخية الدينية التي تتغنى بها مدينة **صقلية Sicile** و**باليرمو Palerme** ومن وقتها صارت شفيعة مدينة **باليرمو**، كما أصبح كهفها مزارًا للحج الروحي.[43]

ومن أهم الأعمال تجسيدا لهذا الانفعال الروحي الذي حافظت الكنيسة نجد رسم «**دفن ضحايا الطاعون**» لـ بييرارت دو تيلت، هذه اللوحة التي قدمت لنا فضاء قبريا وثقت به مشاهد مراسم دفن ضحايا الطاعون (1347م- 1352م) في تورناي Tournai، مشهدا مرعبا تختفي فيه تلك الطقوس والشعائر الدينة المسيحية المألوفة في عملية الدفن، فكأننا أمام آلة للموت الخالص طغت على المشهد، فلا رحمة إلهية ولا رأفة إنسانية. ومن قوة المشهد ورعبه يكاد المشاهد أن يشعر بانعدام الهواء في اللوحة، بسبب الخلفية المسطحة، فلا منظور، ولا عمق في المكان، ولا تواصل بين الشخوص التي تتولى عملية الدفن، وبتلك الكآبة والحزن المرتسم على وجوههم، كأنهم موتى ينتظرون دورهم. فالانفعال الذي تظهره اللوحة يتأتَّى من التكرار، ومن خلال الخطوط المتوازية التي مثلت بها الأجساد المنحنية وتوازي التوابيت في هذه القافلة، وهو ما يعكس التبسيط والتعميم في اللوحة، ما يجعل بطريقة ما أجسام الشخوص تبدو أشبه بظلال، بلا ثقل ولا حجم في ظل غياب المنظور. كما أن الانفعال في اللوحة يتأتى من التكرار في اللوحة، والذي يفرض حالة من الانضباط والانتظام، تصور الدفن كفعل صارم، لا مكان فيه للتحرك بحرية ولا حتى الالتفات عن يمين وشمال، كما يظهر في رسم الشخوص تجريدها من كل ما هو ذاتي وحسي مميّز، فالمشهد ظاهر بوضوح في اللّوحة، ومنجز بألوان فاتحة نسبيّاً، تستنسخ في رسم الشخوص نسخاً كما تستنسخ تلك التوابيت المحمولة إلى الدفن. ما يجعل الرسم يفوح برائحة حلولية الموت وظغيان نظرة سكونيّة غيبية متعالية عن عالم الحياة الدنيا ، ، ومترفعة عن الأمور المادية الفانية، ليصير انتهاء حياة الإنسان المادي هو يقظة الإنسان الروحي.[44]

وإعلاء لسلطة الإيمان وثبيتا لها نجد ما أنجزه الفنان الهولندي **جوزي ليفيرنكس Josse Lieferinxe**، عام 1499م لوحة «**القديس سيباستيان يتوسط لدى الرب في إحدى الأوبئة**». ولا يعرف الكثير عن حياة الفنان جوزي ليفرينكس باستثناء أنه مارس الرسم في جنوب فرنسا في أواخر القرن الخامس عشر، وأنجز أعمالا فنية في إطار الفن المسيحي، كلوحات المصليات والاديرة ومذابح الكنائس. وقد انجز لوحته التي أشرنا إليها لتزيين المذبح المُخصَّص للقديس سيباستيان في إحدى كنائس مرسيليا.[45]

حيث أن **القديس سيباستيان Sébastien**، صلبه الجيش الروماني في عهد **الإمبراطور ديوكلتيانوس Dioclétien** في القرن الثالث الهجري للدفاع عن إيمانه المسيحيّ الذي اعتنقه بالسر[46]. ويعتبر أحد أشهر القديسين الكاثوليك وربطت سيرة القديس مع الوباء أثناء تفشي الطاعون في مدينة بافيا الإيطاليّة، حيث تم بناء مذبح مخصص له الأمر

الذي نتج عنه توقّف الوباء فورا. وهذا بعد وفاته بقرون عديدة، ولعب رجال الدين دورا مهما في نشر صورة الشهيد الذي يؤدي الشفاعة لله من أجل ذهاب الوباء[47]، وبهذا تمتّع القديس بشعبيّة كبيرة في إيطاليا، و في جميع أنحاء أوروبا لدوره الإعجازي في إنهاء الوباء وشفاء الناس، فكانت العديد من المدن وبلدان مدينة لشفاعته القوية عند الله للخلاص من هذه الآفة.[48] ولم يكن اعتقاد الكنيسة هذا اعتقادا خاصا بقديس معين، بل كان اعتقادا في أغلب القديسين ذوي الحياة الأسطورية، فهم ليسوا حماة فقط بل أيضا شفعاء لله في الأوقات الصعبة.[49]

6. خاتمة:

حاولت هذه الدراسة البحث في واقع الفن ودوره في ظل الجائحة توثيقا وتعبيرا عن المخاطر التي يواجهها الإنسان، ومصدر إلهام للبشرية في القدرة على الصمود في مواجهة الأزمات، وقد خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

إن الأوبئة والجوائح التي قتلت الملايين من البشر وأدرك الإنسان عجزه أمامها والحد من انتشارها حركت عقول العلماء والأطباء بالبحث في أسبابها وكل ما يتعلق بها من أجل التحكم فيها..... حفزت أقلام الأدباء لكتابة الروايات والقصص والفنانين لإنتاج الأعمال الفنية المختلفة.

إن حجم المنجزات الفنية حول موضوع الأوبئة والجوائح ينهي الجدل (ولو نسبيا) أو على الأقل يضعف أي رأي أو اتجاه يدعو إلى تقزيم وتقليل دور الفن في المجتمع، ونفي مقومات وجوده، واعتباره بديلا للحياة وتعويضا عن انعدام التوازن في الواقع، وأنه يمكن أن يختفي إذا حققت الحياة توازنا وأن الواقع سوف يحل بالتدريج محل الفن.

معادلة الفن في الحياة الاجتماعية لا يمكن تجاهلها، فالتأثير الذي يحدثه الفن في الشخص بشكل عام، يتعدى حتما إلى المجتمع فيغير منظومة قيمه، ويساهم في صناعة ذوقه العام ويرافقه في ازماته ومحنه.

إن التفسير الديني اللاهوتي للوباء جعل بصمة الكنيسة عميقة جدا في العديد من الأعمال الفنية التي احتوت على عدد أكبر من رموز الموت أو إيجاز الحياة بدل المشاهد الواقعية، فكانت بحق رسومات لأيقونات مسيحية.

إن قوة الفن على تشكيل وجدان المجتمعات لا يكون إلا بالوعي بالمبادئ الأخلاقية كقوة دافعة تجعل من الفن عنصرا مساهما في مسيرة التاريخ الإنساني.

إن الترابط الكبير بين الفن والحياة الاجتماعية، يجعل من الفن في خضم التحولات الكبرى وسيلة مهمة للتغيير الاجتماعي على الصعيد الفكري والسلوكي.

6. قائمة المراجع:

الكتب

- أندريه لالاند، موسوعة لالاند، ج1، ترجمة خليل أحمد خليل، عويدات بيروت، سنة 2001.
- إرنست فيشر، ضرورة الفن، ترجمة أسعد حليم، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.
- رياض عوض، مقدمات في فلسفة الفن، مطابع جروس برس، لبنان، ط1، سنة 1994
- زكي نجيب محمود، في فلسفة النقد، دار الشروق، بيروت.
- بشير خلف، الفنون في حياتنا، دار الهدى الجزائر، سنة 2009.
- رمضان الصباغ، جماليات الفن الإطار الأخلاقي والاجتماعي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، ط1 سنة 2003.
- مجاهد عبد المنعم مجاهد، فلسفة الفن الجميل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بدون سنة.
- بندتو كروتشه، المجمل في فلسفة الفن، ترجمة سامي الدروبي، المركز الثقافي العربي، ط1، سنة 2009.
- هربرت ريد، معنى الفن، ترجمة سامي خشبة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1998.
- زكريا إبراهيم، مشكلة الفن دار مصر للطباعة، بدون سنة.
- هيجل، المدخل إلى علم الجمال فكرة الجمال، تر. جورج طرابيشي، الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط2 سنة 1988.
- كلايف بل، الفن، ترجمة عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع القاهرة، ط1 سنة 2013.
- جيروم ستولنيتز، النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية، ترجمة فؤاد زكريا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، ط1 سنة 2007.
- *Guiffrey, Jules, Antoine Van Dyck : sa vie, son œuvre, Société française d'éditions d'art, Paris, 1881,*
- *ADOLPHE BADIN,Grottes et Cavernes, Librairie de L. Hachette, Paris 1867.*
- *Michèle Ménard, Une histoire des mentalités religieuses aux XVIIe et XVIIIe siècles, Editions Beauchesne, 1980.*

المجلات

- صابر جيدوري، الخبرة الجمالية وأبعادها التربوية، مجلة جامعة دمشق، المجلد 36، العدد 3، سنة 2010، ص91-134
- أثير محمد علي، جوائح الفن التصويري، مجلة الدوحة، العدد 150، أفريل 2020، ص94- 101
- طيطح نصيرة، تاريخ الأوبئة والمنظمة العالمية للصحة، سلسلة الأنوار، المجلد 12، العدد1، ماي 2022. ص 188-2013
- ريم المالكي، بين ثنائية الهدم والبناء.. الفن في مواجهة الحروب والأزمات، مجلة القافلة، العدد4 سنة 2021. ص63

- ساحي سعيدة، الفن التشكيلي الجزائري عبر مواقع التواصل الاجتماعي في ظل أزمة كورونا، مجلة راصد لدراسات العلوم الاجتماعية، المجلد 2، العدد 1، سنة 2022، ص 183-198
- *Jean-Pierre Jardel, LES ÉPIDÉMIES DE PESTE ET LA MER À VILLEFRANCHE. LA VIERGE MARIE ET LES SAINTS PROTECTEURS : SAINT SÉBASTIEN ET SAINT ROCH (XIVe-XVIIIe Siècles), Bull. Mus. Anthropol. préhist. Monaco, suppl. n° 8, 2019.*

المو اقع الإلكترونية

- منير توما وكفر ياسيف، الفن وحقوق الإنسان، موقع الورشة، *https://education.acri.org.il/ar/page/75/* بتاريخ 2013/01/07، تاريخ الاطلاع 2019/04/11.
- رباب حسين النمر، وظيفة الفن في الفكر الجمالي الحديث بين المبدع والآخر، موقع أزاهير *http://azaheer.org* بتاريخ 2007/12/01، تاريخ الاطلاع 2019/01/06
- موقع العربي الجديد، الفن بعد كورونا: واقع وتحولات، العربي الجديد *https://cutt.us/5wLK5*، بتاريخ 2020/01/18، تاريخ الاطلاع 2022/08/01
- شهد الراوي، الفيروس السياسي، *https://cutt.us/c3i9o 22* فيفري 2020، تاريخ الاطلاع 2022/06/28
- عمر عبد الرزاق سارة فياض، فيروس كورونا: الأوبئة في كتابات المؤرخين وخيالات المبدعين، *https://cutt.us/nFB0*l 2020/04/12،
- المتاحف تحاول النجاة... زيارات افتراضية مدفوعة، أندبندت عربية، *https://cutt.us/V1L2t* بتاريخ 2021/02/12، تاريخ الاطلاع 2022/07/22
- انتصار دردير، «برغم الأزمة»... معرض افتراضي مصري يتحدى الوباء، الشرق الأوسط، *https://cutt.us/tdVju*، بتاريخ 2020/04/20، تاريخ الاطلاع 2022/08/2.
- منير توما وكفر ياسيف، الفن وحقوق الإنسان، موقع الورشة، *https://education.acri.org.il/ar/page/75/* بتاريخ 2013/01/07، تاريخ الاطلاع2022/07/11
- ويكيبيديا *https://cutt.us/HKn2b* تاريخ الاطلاع 2022/07/25
- *Robert FOHR, ÉDIFICATION DE LA LÉGENDE NAPOLÉONIENNE, https://cutt.us/glE3z, publié Aout 2011, consulté le 06/07/2022*

هوامش البحث

[1] من كبار فلاسفة عصر النهضة (1433. 1499) ومن أكبر المعجبين بأفلاطون، ومؤسس المدرسة الأفلاطونية في مدينة فلورنسا إبان عصر النهضة.

[2] من ملخص لكتاب جيم هيريك (مدخل عام إلى النزعة الإنسانية) على موقع البيان *www.albayan.ae* بتاريخ 2006/02/06، تاريخ الاطلاع 2019/04/12

[3]أندريه لالاند، موسوعة لالاند، ج1، ترجمة خليل أحمد خليل، عويدات بيروت، سنة 2001، ط2، ص74

[4] ماضي حسن، الفن وجدلية التلقي، دار الفتح للطباعة والنشر بغداد، سنة 2020، ص107

[5] منير توما وكفر ياسيف، الفن وحقوق الإنسان، موقع الورشة، https://education.acri.org.il/ar/page/75/ بتاريخ 2013/01/07، تاريخ الاطلاع 2022/07/11

[6] زكريا إبراهيم، مشكلة الفن دار مصر للطباعة، بدون سنة، ص101و202.

[7] إرنست فيشر، ضرورة الفن، ترجمة أسعد حليم، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص20.

[8]زكي نجيب محمود، في فلسفة النقد، دار الشروق، بيروت، ص44

[9]بشير خلف، الفنون في حياتنا، دار الهدى الجزائر، سنة 2009، ص 147

[10] منير توما وكفر ياسيف، مرجع سابق.

[11] رمضان الصباغ، جماليات الفن الإطار الأخلاقي والاجتماعي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، ط1 سنة 2003 ص35 و36

[12] مجاهد عبد المنعم مجاهد، فلسفة الفن الجميل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بدون سنة، ص 129

[13] عطية راضية، ماهية الفن عند بنديتو كروتشه، رسالة ماجستير غير مطبوعة، جامعة الجزائر 2005/2004، ص75

[14]بندتو كروتشه، المجمل في فلسفة الفن، ترجمة سامي الدروبي، المركز الثقافي العربي، ط1، سنة 2009 ص 78

[15] المرجع نفسه، ص75

[16]هربرت ريد، معنى الفن، ترجمة سامي خشبة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1998،ص165

[17]صابر جيدوري، الخبرة الجمالية وأبعادها التربوية، مجلة جامعة دمشق، المجلد 36، العدد الثالث، سنة 2010

[18] فريدريك هيغل أحد أهم الفلاسفة الألمان، ويعتبر أهم مؤسسي المثالية الألمانية في الفلسفة.

[19]هيجل، المدخل إلى علم الجمال فكرة الجمال، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط2 سنة 1988، ص53

[20] فيلسوف فرنسي معاصر، ولد بالمغرب سنة 1937.

[21] رباب حسين النمر، وظيفة الفن في الفكر الجمالي الحديث بين المبدع والآخر، موقع أزاهير http://azaheer.org بتاريخ 2007/12/01، تاريخ الاطلاع 2019/01/06

[22]كلايف بل، الفن، ترجمة عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع القاهرة، ط1 سنة 2013، ص 138

[23]رياض عوض، مقدمات في فلسفة الفن، مطابع جروس برس، لبنان، ط1، سنة 1994، ص 114

[24] من أشهر النقاد الفنيين والفلاسفة الأمريكيين، ولد سنة 1925، تخصص في فلسفة الفن وقدم فيها عدة مؤلفات، صاحب عدة نظريات فنية.

[25]جيروم ستولنيتز، النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية، ترجمة فؤاد زكريا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، ط1 سنة 2007، ص534.

[26] طيطح نصيرة، تاريخ الأوبئة والمنظمة العالمية للصحة، سلسلة الأنوار، المجلد 12، العدد 1، ماي 2022. ص196-200

[27] عادل العلي، الفن والذاكرة، موقع الجزيرة بتاريخ 2021/06/04، https://www.al-jazirah.com/2021/20210604/cm14.htm، تاريخ الاطلاع 2024/01/23

[28] ريم المالكي، بين ثنائية الهدم والبناء.. الفن في مواجهة الحروب والأزمات، مجلة القافلة، العدد 4 سنة 2021، ص64

[29] موقع العربي الجديد، الفن بعد كورونا: واقع وتحولات، العربي الجديد https://cutt.us/5wLK5، بتاريخ 2020/01/18، تاريخ الاطلاع 2022/08/01

[30] شهد الراوي، الفيروس السياسي، https://cutt.us/c3i9o 22 فيفري 2020، تاريخ الاطلاع 2022/06/28

[31] وتعني أدب المدينة الفاسدة

[32] عمر عبد الرزاق سارة فياض، فيروس كورونا: الأوبئة في كتابات المؤرخين وخيالات المبدعين، https://cutt.us/nFB0l بتاريخ 2020/04/12، تاريخ الاطلاع 2022/06/27.

[33] المرجع نفسه.

[34] *Robert FOHR, ÉDIFICATION DE LA LÉGENDE NAPOLÉONIENNE, https://cutt.us/glE3z, publié Aout 2011, consulté le 06/07/2022*

[35] المتاحف تحاول النجاة... زيارات افتراضية مدفوعة، أندبندت عربية، https://cutt.us/V1L2t *بتاريخ 2021/02/12*، تاريخ الاطلاع 2022/07/22

[36] انتصار دردير، «برغم الأزمة»... معرض افتراضي مصري يتحدى الوباء، الشرق الأوسط، https://cutt.us/tdVju، بتاريخ 2020/04/20، تاريخ الاطلاع 2022/08/2.

[37] ساحي سعيدة، الفن التشكيلي الجزائري عبر مواقع التواصل الاجتماعي في ظل أزمة كورونا، مجلة راصد لدراسات العلوم الاجتماعية، المجلد 2، العدد 1، سنة 2022، ص 183-198.

[38] ريم المالكي، مرجع سابق. ص65

[39] أثير محمد علي، جوائح الفن التصويري، مجلة الدوحة، العدد 150، أفريل 2020، ص94

[40] ريم المالكي، مرجع سابق. ص65

[41] *Guiffrey, Jules, Antoine Van Dyck : sa vie, son œuvre, Société française d'éditions d'art, Paris, 1881, p115*

[42] *Ipid. p115*

[43] *ADOLPHE BADIN,Grottes et Cavernes, Librairie de L. Hachette, Paris 1867, p 136*

[44] أثير محمد علي، مرجع سابق. ص 94 و95

[45] المرجع نفسه، ص 96

[46] ويكيبيديا https://cutt.us/HKn2b تاريخ الاطلاع 2022/07/25

[47] *Jean-Pierre Jardel, LES ÉPIDÉMIES DE PESTE ET LA MER À VILLEFRANCHE. LA VIERGE MARIE ET LES SAINTS PROTECTEURS : SAINT SÉBASTIEN ET SAINT ROCH (XIVe-XVIIIe Siècles), Bull. Mus. Anthropol. préhist. Monaco, suppl. n° 8, 2019, p246*

[48] *Michèle Ménard, Une histoire des mentalités religieuses aux XVIIe et XVIIIe siècles, Editions Beauchesne, 1980, p334*

[49] *Jean-Pierre Jardel, op.cit. p245*